المسرح السعودي متى يكون حاضراً ؟!!

علي محمد فايع

تعتبر البدايات التاريخية للمسرح المحلي مؤكدة حقيقة الانتماء ، ومعلمة للأجيال عظمة الوعي لنهوضها بالإنسان إلى معترك الحياة ، والدخول في معتركها كتابيا ، وتمثيلا بعيداً عن الأشكال الجاهزة ، والتقنية المستوردة من خلال أعمال خاضعة للفعل الإنساني الخلاق .. لتمر عبر محسوسات إنسانية جارية في ذات الإنسان ، وعقله ، ووجدانه وهو يتصدى لقضايا ، ومشكلات من شأنها أن تحدث اهتزازاً في بيئته الاجتماعية النامية ..

من هنا كان على المسرح المحلي أن يأخذ على عاتقه مهمة المحاكاة الفاعلة المعرية للواقع .. وفضح المساوئ منذ مسرحية / إبراهيم الحمدان ـ قطار الحظ ـ والسنين العجاف ـ لمحمد العثيم ..

وإذا كان تطور المسرح السعودي قد أضحى هاجساً يؤرق المعنيين به ، ويستفز المتابعين له بأن يقولوا شيئاً منصفاً ، ويكتبوا كلاماً مفيدا .. وليس من أحد سيعترض على قصور الجانب الإعلامي سواء المرئي أو المقروء .. وذلك لعدم نقله أحداث المسرح بالصورة المطلوبة حتى أن غير المتابع لا يعرف بوجود المسرح المحلي حتى يفاجأ بخبر فوز عمل خارج الوطن ..

وإذا كان استبشارنا بمواسم ظننا أنها ستمنح المسرح المحلي حضوره المأمول ـ كالجنادرية ـ مثلاً إلا أن خيبتنا كانت قريبة عندما لم يتجاوز العمل خشبات المسرح إلا من بعض إشارات صحفية لا تسمح لنا بتلمس الخطوات بوضوح .. ويبقى التطور المسرحي يصنعه عشاقه الحقيقيون وراء الستار ..

وعندما أتى مهرجان عسير السياحي فتح أفقاً جديداً للمسرحيين ، وشاهدنا تجارب جديدة ، ووجوهاً زرعت الثقة في مستقبل مسرحنا .. بل أعطتنا أحقية المطالبة بتميز مسرحي قادم ..
وما حققته مسرحيات المهرجان من تفوق خارجي ـ في مصر ـ حيث فازت مسرحية (إيقاع زمن واقع) ونالت مسرحية ـ البروفة الأخيرة ـ إعجاب النقاد لتحقق إضافة لما سبق وأن تحقق .. وإن كان يسيراً بالنسبة للمأمول ..



- المسرح ليس ترفاً ولذلك لا بد أن يأخذ حقه إعلامياً

- الشمراني يقول : لسنا بحاجة إلى كتاب تنظير ..

وما يدعونا للتساؤل عن كتاب النقد المسرحي ودورهم في تعميق الوعي المسرحي كما يؤديه الكاتب / محمد العثيم ـ صاحب الجهد الوافر في كتابة المسرحية ، والكتابة عن المسرح ونقده ، كما يظهر جهد الكاتب فهد ردة الحارثي في نفس الاتجاه ..
لكنني أعتقد أن حاجة المسرح إلى دور أهم من قبل الصحافة في نشر التجارب المسرحية واستقراء معالمها ، والوقوف جنباً إلى جنب مع بوادر الحركة المسرحية .. فما زال المسرح بحاجة ماسة إلى الوقوف بجانبه بكتابات جدية ، ونقد بناء بعيداً عن الانطباعية والعشوائية ، والرؤى المتضاربة حد العاجية والانغلاق .
وفي سؤال طرحته كأحد المتابعين للحركة المسرحية المحلية على الأستاذ / راشد الشمراني حول إمكانية ممارسته للكتابة النقدية التوضيحية لمسيرة المسرح السعودي باعتباره أحد الممارسين لهذا الفن منذ زمن ، وأحد المعنيين بتطوره ، والمهمومين بتفوقه .. فأجاب أننا بحاجة إلى كتاب ينفذون أعمالهم ، ويتابعونها .. ولسنا بحاجة إلى كتاب تنظير .. وعلل بقوله : نحن نفتقد هؤلاء الذين يعيشون مع أعمالهم بعد كتابتها حتى ترى النور وعرج في حديثه على بشارات التواجد المسرحي

المحلي من خلال الجنادرية .. ومسرح المفتاحة .. وما وجدته تلك العروض من إعجاب المشاهدين
وأشاد / الشمراني ــ بتجارب جمعية الثقافة والفنون في الطائف .. والجهود المميزة التي يبذلها
القائمون هناك لفرقتهم من تهيئة ، وممارسة للمسرح الحر الهادف إلى التثقيف النظري ، والعملي
مما يبعث على البهجة .. أ.هـ

والمشاهد لمسرحية ــ البروفة الأخيرة ــ لجمعية الطائف .. يخرج بهذا الانطباع الذي رآه الشمراني .. فالتحركات التي كان يؤديها المسرحيون والتشكيلات تدل على ثقة مكتسبة من المشاركات المتعددة .

- الحلم .. لا يحقق تطور المسرح

وعندما نتحدث عن المسرح كأب للفنون فإننا بحاجة ماسة إلى تواصل العمل ، واستمرارية المتابعة والتقويم لكي نصل إلى الحكم بالنجاح أو عكسه عن دراية .. ونحن من خلال الرصد والمتابعة بحاجة إلى معرفة تنمي ، ومهارات ترأب صدع المحاولات ، ولمسات تزيد العمل إبداعاً وإلا فإننا سنصبح عاجزين عن الحكم الصادق ، وربما بقي المسرح صدئاً معزولاً لسنوات أكثر مما هو متوقع .

والحلم وحده لن يكون المطية النافعة إذا لم تسبقه .. أو تصاحبه حقيقة المراد المدعومة بالرؤى البناءة المتشوقة إلى التحقيق النافع ، وهذا ما يجعل :

١ ــ الوعي المسرحي ..
٢ ــ والاطلاع الثقافي ..
٣ ــ والدراسة المسرحية من أهم مقومات النجاح بعد الموهبة .. لتأتي الخبرة بالمشاركات المتعددة .

ومسرحنا المليئ بالأسماء ، والخبرات التي لا تنقصه فإنه بحاجة في رأيي إلى الاهتمام بالممثل فهو بحاجة إلى إعداد يصقل الموهبة في معهد متخصص يوفر له المادة ، والتجربة المستمدة من القراءة

والممارسة معاً فكم هو محزن أن يتلفظ ممثل ناشئ بكلمات لا يعرف معناها .. كما أن الممثل الذي يصرف وقتاً كبيراً في ممارسة المسرح كهواية دون دعم مالي يدعوه للتراخي وربما التخلي عن هوايته ..

* فهد الحارثي يقول : ترك الممثل المسرحي للتمثيل يعيق التطور المنشود .

ولعلمنا أن لكل عمل هام وجاد تضحيات .. فإن المسرح هو المحتاج إلى الجهد العقلي والنفسي ، والبدني .، إضافة إلى الوقت وما لم يعوض هذا الجهد الكبير برعاية فلن يستمر الكثير .. وسنبقى نعاني من تبدل الأجيال الهاوية دون تحقيق أدنى درجات المأمول لمسرحنا وهذا الأمر طرحه الأستاذ / فهد الحارثي في لقاء معه [١] بقوله : إن عدم ثبات الممثل لسنوات طويلة داخل الفرقة المسرحية يحد من تطور المسرح ..

وأنا هنا أود أن أشير إلى أن القطاع الخاص المعني بالمشاركة في تطوير الوطن يمكنه أن يدعم المسرح بشكل نافع وربما تم التوصل إلى طرق مثلى من خلال فتح حوار بين الممثلين ورجال الأعمال ليتحقق للجميع هدفهم وللوطن حضوره المنتظر مسرحيا .

• لغة المسرح هل هي الجدار الحائل بين المتلقي والمسرح ؟!! أم ماذا ؟

منذ عام ١٩٧٣م كان النصيب الأكبر من الكتابات المحلية المسرحية بالعامية [٢] ولكتاب سعوديين وقد سبب هذا الأمر انحساراً في المسرح المحلي باعتبار أن التجارب الأولى لم يتسن لها الوصول إلى الجمهور بسبب محدودية المكان ، وصعوبة التوصيل ، وقلة الدعم إلا من رعاية الشباب التي لا تزال أهم مصدر للتمويل المسرحي ، ومع أن الفترة أظهرت بعض الملامح للمسرح السعودي البعيد عن التقنية ، والمرأة ، والمعتمد كليا على الممثل وقدراته في التعامل مع

النص لإيصال الفكرة بشكل مقبول وبقي المسرح حتى عام ١٤١٣هـ مقصورا على خمسين مسرحية خلال أربعين عاماً .. على أن المشاركات الخارجية كانت تعتمد على اللغة الفصحى مثل مسرحية ـ لو كان الضمير

حياً ـ تأليف حسين عامر وإخراج بكر الشدي ومثلت المملكة في المهرجان العربي السادس .

ومسرحية (صفعة في المرآة) تأليف عبدالعزيز الصقعبي وإخراج عبدالعزيز الرشيد ومثلت المملكة في مهرجان الجوال في المغرب .

ومسرحية (مع الخيل يا عربان) تأليف راشد الشمراني وإخراج عامر الحمود ومثلت المملكة في مهرجان الشباب في الكويت ؛ وحققت جائزة تونس ثم توالت مسرحيات أخرى وقد عبر بعض الكتاب عبر الصحف عن آمالهم في ظهور المسرح المحلي بصورة تواكب التطور في شتى المجالات

* هل يحقق نادي المسرح حلم عشاق المسرح السعودي ؟

ونادي المسرح الذي احتضن التظاهرة المسرحية لهذا العام والمؤسس منذ عام ١٤٠٥هـ بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، ومثلت من خلاله العديد من المسرحيات كان آخرها عروض لتسع مسرحيات لفرق الجمعية ، وفرق جامعية مما لا شك فيه أن الحوارات المثرية التي دارت حول الأعمال تحقق المزيد من النجاحات لتلك الأعمال ولغيرها من القادم ..

ويبقى انتظار الأجمل هو ما يدفعنا للحديث ، والمتابعة لنحقق لمسرحنا حضوره المشرف محلياً وعربياً .. وندفع عنه التهم الموجهة بأن نجاحاته الخارجية مدفوعة الثمن ..

---

(١) ملحق جريدة المدينة ـ الأربعاء ١٤١٩/٤/٢٧هـ .

(٢) المسرح السعودي ـ دراسة نقدية ، د. نذير العظمة ، ط١ ، عام ١٣ .